وصف الطَبيعة الحالمة

- كانت الحديقة فاتنة، فالأزهار تتطاول مبرزة نفسها نحو الضياء، وأغصان لأشجار تعانق بعضها بعضا في رقّة وحنان، والطّيور تتنقّل بينها منشدة لحن الحياة

- ولد الرّبيع من جديد، وانبثقت معه سيول من الضّياء تتدفّق بعد ذلك الظلام لطَويل. الطّبيعة تفتح رئتيها للهواء لنَقيّ وقد تخلّصت من ثقل الشّتاء الّذي كان جاثما على صدرها

- ذهبت إلى الحديقة رغبة في النزهة، فوجدت كل شيء فيها يضحك، الأزهار مفتحة تملأ الجو عبيرا، والفراشات راقصة فرحا بالربيع، والعصافير منشغلة ببناء أعشاشها تغرّد وتنشد أعذب الألحان، المياه تترقرق من بين لصّخور في بطء و نسجام

- استيقظ لطّفل وقد أفعم صدره أملا وحبورا، لم يعرف لهما مثيلا منذ أيّام عديدة. فتح لنّافذة فإذا الشّمس الفتّانة تدعوه في رقّة ودلال للخروج، وإذ بالأشجار بقامتها الممشوقة، وخضرتها الجذّ بة، وبريق لنّدى على أور قها توقظ في نفسه حبّ التّجو ل، والتنزّه

- توقّفنا ونزلنا وإذا بنا وسط واحة من أشجار النّخيل، وكم كان بتهاجي كبير وأنا أتملّى ذلك المنظر الجميل، فهو يبدو كلوحة فنيّة رائعة

ـ كان لربي قد انتشر في كل مكان وكسا الأرض رداوه لمرقش فالحقول قد هاجت بالأزهار على اختلاف أنواعها وألوانها والأشجار ارتدت حلة من الأوراق الفتية والطيور خرجت ترنم أناشيد الفرح بقدوم فصل الجمال والطبيعة كلها بهجة ومرح.

ـ وقفت أنظر إلى المروج الخضراء الممتدّة بأعشابها الناضرة، وورودها اليانعة، وإلى السّهول المنبسطة نبساطا يبعث في النّفس لسّرور، ويجعلها تهفو إلى أن أكر فها الواسعة الّتي تبهج العين بآيات فنّها، وتروّح لصّدر بهوائها العليل، وتبهج الرّوح بنفحاتها الشذيّة. ظللت أتنقّل من مكان إلى مكان حتّى إذ نال منّي التّعب أويت إلى سنديانة ظليلة لأرتاح.

ـ وصلت إلى المكان فإذا هو حديقة غناء يكسو أرضها بساط من الأعشاب الخضراء وانتشرت الأزهار الفواحة من خلالها تدغدغ الأنوف وتهز النفوس وتنشيها، وبدت السماء كعين الدّلفل صفاء تغطيها العصافير المغردة تخالها في عرس أو مهرجان من الألحان وما ألحانها إلا فيضان ما في قلبها من الغبطة بالوجود...

ـ جلست تحت سنديانة ظليلة، أغصانها متشابكة، يمرّ بها النّسيم فتطرب، ويداعبها بأصابعه الخفيّة فتسمعني من حفيف أوراقها، وتغريد بلابلها أعذب معزوفة غنّتها أوتار الحياة

ـ فتنني هذا المنظر البديع، واطمأنّت نفسي لسحره، وموسيقاه المنبعثة من حفيف الأوراق، وخرير المياه المنسابة في هدوء، وتغاريد لعصافير المبتهجة المتنقّلة من غصن إلى غصن، واستأنست لكلّ ما حولي أنسا عظيما

ـ فصل الرّبيع، فصل لأحلام، الكلّ منتش غارق في لأحلام، فالعصافير منشغلة ببناء أعشاشها تحلم بفراخها والأشجار الخضراء بأغصانها وأوراقها الغضّة تحلم بالثمار، والحيوانات ترعى العشب في طمأنينة تحلم بصغارها تدب حواليها والفلاح يتأمّل حقله يحلم بالسنبلة لتي دفن أمها في الأرض تلك هي يقظة الحياة بعد هجوعها .

ـ لم أنتبه من حلمي إلاّ خر العشيّ والشّمس عند الأفق تقف وقفة لوداع بلونها الأحمر المتوجّه لّذي ضفى على لدّنيا هالة من التبر المتلألئ وكأنّها لا تريد لمغادرة

ـ بدأ الظلام يمتدّ، وينبسط على المكان، فأخذت طريق لعودة وفي نفسي سرور عظيم وارتياح ونشوة لا توصف. إنّ الطّبيعة لهي الفضاء الرّحب الّذي يتأمّل فيه الإنسان آيات لفنّ وشواهد الجمال، وفيه يطمئنّ، قلبه ويشعر بالسّكينة، وتفعم نفسه ابتهاجا وأملا.

ـ انبثق الفجر وتهادى النّور يشقّ طريقه بين فجوج الأشجار النّاعسة يدغدغها، ويرقص أغصانها وأوراقها الغضّة، فتتمطّى وتفتح عينيها في هدوء ودلال، وتهتزّ لتوقظ العصافير النّائمة، وتعلمها بحلول يوم جديد

ـ كان اليوم ربيعيًا صاحيًا صفت، فيه السّماء، وزها الكون بعد فترة سبات، فخرجت لأنعم بما حبانا به الله من جمال بديع، لم أبتعد كثيرا، كانت الطّبيعة تحتويني، أشجار خضراء باسقة تتطاول رافعة أعناقها إلى السّماء حامدة شاكرة، وعلى أغصانها حطّت، طيور مغرّدة بمعزوفة هي أشبه بابتهالات تمجّد قدرة الخالق على الخلق، وتحت قدميّ امتدّ بساط أخضر زركش بضروب من الزّهر وشقاشق النّعمان

ـ سرت بين نفحات الرياحين وأهازيج الطيور وخرير السواقي وخوار البقر وصهيل الخيل وصياح الديكة وثغاء الأغنام ثم تخليت عنها لأمتع نظري بهذا الوشاح البديع الذي يغشي الأرض ولأستمع إلى أصوات تلك المخلوقات التي تسبح بلغاتها العديدة وظللت أملأ رئتي من هذا النسيم العطر الذي يتنازعه قر الشتاء وحر الصيف، فلله ما أجمل الربيع

- كانت الشّمس تستعدّ لتأوي إلى مرقدها، كان تقاوم الرّغبة في البقاء، فأضفت على الكون هالة من السّحر، ونثرت على ا ّ غبار التّبر فتلألأ في كلّ مكان

- تراقصت حولي فراشات مزهوّة بألو نها ّ تغازل لزّهور تارة وتلثمها أخرى ممعنة في امتصا لذيذ رحيقها

- لمس لرّبيع لأزهار بعصاه السّ ّ فتباينت ألو نها في تناسق عجيب

- كان الفصل ربيعيا فالسماء زرقاء صافية مشرقة وروائح الأزهار الذكية تمتزج بالهواء وتملأ الصدر انشر حا وتد الألو ن الز هية لأبصار فتريحها

- كان النّسيم عليلا بليلا يعبق بشذى الطّبيعة ّب يد عب وجنتيّ، ويهدّئ نفسي، ويخدّرها، فأنعم بلذيذ الأحلام، و سبح في عالم من لخيا عالم كلّه سعادة وحبور يخفق له قلبي ويحلّق فيه فؤادي ة عارمة

- عدت إلى لمنزل أسبح مع النّسائم وأبتهل الطّيور العائدة إلى مراقدها، لحامدة الشاكرة لربّ قدير رحيم جعل لجمال في ول كلّ كائن لينعم به، ويتأمّل فيه

ـ أحسست بيد سحريّة دافئة توقظني برقّة ولطف، تململت قليلا، وفتحت عينيّ، وإذا بأشعّة الشّمس تتسلّل من النّافذة، فتغمر الغرفة بموجة من الدّفء والنّور، وتبعث في النّفس نشوة ورغبة في الخروج. نظرت من النّافذة فإذا الطّبيعة ملء العيون بما أبدع الله فيها من ألوان زاهرة، وأبرزه من أغصان ناضرة، وخلقه من جمال رائع، متناسق، منسجم يحيّر العقول، ويأخذ اللّبّ، ويعلّم الفنّانين فنّهم، ويرقّي ذوقهم، ويلهمهم الإبداع في التّنميق، والإجادة في التّزويق...

ـ حلّ الربيع وتجلّت الطّبيعة في أحلى حللها، فملأت الجوّ عطرا بأزهارها العبقة، وثمارها الفائحة، وريّاحينها الطّيّبة، فانتعشت النّفوس، وبعثت الأمل، وحرّكت أشجان الطّيور، وأطلقت لسانها. كانت عجماء فأفصحت، وكانت خرساء فنطقت، وكانت بكماء فصوّتت وغرّدت. ولمّا غنّت، حرّكت أشجان الإنسان، وأوحت إليه بالمعاني الحسان، فخرج النّاس إلى الحدائق، والغابات، يتمتّعون بسحر الرّبيع